لطائف المعارف

أحوال الصادقين في عرفة .

كانت أحوال الصادقين في الموقف بعرفة تتنوع : فمنهم : من كان يغلب عليه الخوف أو الحياء وقف مطرف بن عبد ا بن الشخير و بكر المزني بعرفة فقال أحدهم : اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي و قال الآخر : ما أشرفه من موقف و أرجاه لأهله لولا أني فيهم وقف الفضيل بعرفة و الناس يدعون و هو يبكي بكاء الثكلى المحترقة قد حال البكاء بينه و بين الدعاء فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء و قال : و اسوأتاه منك و إن عفوت و قال الفضيل أيضا لشعيب بن حرب بالموسم : إن كنت تظن أنه شهد الموقف أحد شرا مني و منك فبئس ما ظننت دعا بعض العارفين بعرفة فقال : اللهم إن كنت لم تقبل حجي و تعبي و نصبي فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني وقف بعض الخائفين بعرفة إلى أن قرب غروب الشمس فنادى الأمان فقد دنا الإنصراف فليت شعري ما صنعت في حاجة المساكين .

(و إني من خوفكم و الرجا ... أرى الموت و العيش منكم عيانا) .

(فمنوا على تائب خائف ... أتاكم ينادي الأمان الأمانا) .

إذا طلب الأسير من الملك الكريم أمنه أمنه .

(الأمان الأمان وزري ثقيل ... و ذنوبي إذا عددن تطول) .

(أوبقتني و أوثقتني ذنوبي ... فترى لي إلى الخلاص سبيل) .

وقف بعض الخائفين بعرفة فمنعه الحياء من الدعاء فقيل له : لم لا تدعو ؟ فقال : ثم وحشة فقيل له : هذا يوم العفو عن الذنوب فبسط يديه و وقع ميتا .

(جز أيها الحادي إلى نعمان ... فاستذكرت عهدا لها بالبان) .

(فسألت الروح من الأجفان ... تشوقا إلى الزمان الفاني) .

غيره : .

(قد لج من الغرام حتى قالوا ... قد جن فيهم و هكذا البلبال) .

(الموت إذا رضيته سلسال ... في مثل هواك ترخص الآجال) .

وقف بعض الخائفين بعرفات و قال : إلهي الناس يتقربون إليك بالبدن و أنا أتقرب إليك بنفسي ثم خر ميتا .

(للناس حج و لي حج إلى سكني ... تهدي الأضاحي و أهدي مهجتي و دم) .

ما يرضى المحبون لمحبوبهم بإراقة دماء الهديا و إنما يهدون له الأرواحا .

(أرى موسم الأعياد أنس الحبائب ... و ما العبد عندي غير قرب الحبائب) .

(إذا قربوا بدنا فقرباني الهوى ... فإن قبلوا قلبي و إلا فقالبي) .

(و ما بدم الأنعام أقضي حقوقهم ... و لكن بما بين الحشا و الترائب) .

كان أبو عبيدة الخواص قد غلب عليه الشوق و القلق حتى يضرب على صدره في الطريق و يقول : واشوقاه إلى من يراني و لا أراه و كان بعد ما كبر يأخذ بلحيته و يقول : يا رب قد كبرت فاعتقني و رؤي بعرفة و قد ولع به الوله و هو يقول : .

(سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على حمى الشوك و المحمى من الإبر) .

(لم نبلغ العشر من معاشر نعمته ... و لا العشير و لا عشرا من العشر) .

(هو الرفيع فلا الأبصار تدركه ... سبحنه من مليك نافذ القدر) .

(سبحان من هو أنسى إذا خلوت به ... في جوف ليلي و في الظلماء و السحر) .

(أنت الحبيب و أنت الحب يا أملي ... من لي سواك و من أرجوه يا ذخر) .

و من العارفين من إن بالموقف يتعلق بأذيال الرجاء قال ابن المبارك : .

جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة و هو جاث على ركبتيه و عيناه تهملان فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالا ؟ قال : الذي يطن أن ا لا يغفر لهم و روي عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس و بكائهم عشية عرفة فقال : أرأيتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا دانقا ـ يعني سدس درهم ـ أكان يردهم قالوا : لا قال : و ا للمغفرة عند ا أهون من إجابة رجل لهم بدانق .

(و إني لأدعو ا أطلب عفوه ... و اعلم أن ا يعفو و يغفر) .

(لئن أعظم الناس الذنوب فإنها ... و إن عظمت في رحمة ا تصغر) .

و عما قليل تقف إخوانكم بعرفة في ذلك الموقف فهنيئا لمن رزقه يجاورن إلى ا بقلوب محترقة و دموع مستبقة فكم فيهم من خائف أزعجه الخوف و أقلقه و محب ألهبه الشوق و أحرقه و راج أحسن الظن بوعد ا و صدقه و تائب نصح في التوبة و صدقه و هارب لجأ إلى باب ا و طرقه فكم هنالك من مستوجب للنار أنقذه ا و أعتقه و من أسير للأوزار فكه و أطلقه و حينئذ يطلع عليهم أرحم الرحماء و يباهي بجمعهم أهل السماء و يدنو ثم يقول : ما أراد هؤلاء ؟ لقد قطعنا عند وصولهم الحرمان و أعطاهم نهاية سؤلهم الرحمن و هو الذي أعطى و منع و وصل وقطع .

(ما أصنع هكذا جرى المقدور ... الجبر لغيري و أنا المكسور) .

(أسير ذنب مقيد مأسور ... هل يمكن أن يبدل المسطور) .

من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم بحقه الذي عرفه من عجز عن المبيت بمزدلفة فليبت عزمه على طاعة ا و قد قربه و أزلفه من لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف فليقم

بحق الرجاء و الخوف من لم يقدر على نحر هديه بمنا فليذبح هواه هنا و قد بلغ المنا من لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه و رجاه من حبل الوريد نفحت في هذه اليام نفحة من نفحات الأنس من رياض القدس على كل قلب أجاب إلى ما دعى يا همم العارفين بغير ا لا تقنعي يا عزائم الناسكين لجمع أنساك السالكين اجمعي لحب مولاك أفردي و بين خوفه و رجائه اقرني و بذكره تمتعي يا أسرار المحبين بكعبة الحب طوفي و اركعي و بين صفاء الصفا و مروة المروى اسعي و اسرعي و في عرفات الغرفات قفي و تضرعي ثم إلى مزدلفة الزلفى فادفعي ثم إلى منى نيل المنى فارجعي فإذا قرب القرابين فقربي الأرواح و لا تمنعي لقد وضح الطريق و لكن قل السالك على التحقيق و كثر المدعي .

(لئن لم أحج البيت أوشط ربعه ... حججت إلى من لا يغيب عن الذكر) .

(فأحرمت من وقتي بخلع نقائصي ... أطوف و أسعى في اللطائف و البر) .

(صفاي صفائي عن صفاتي و مروتي ... مروءة قلبي عن سوى حبه فقر) .

(و في عرفات الأنس با موقفي ... و مزدلفى الزلفى لديه إلى الحشر) .

(و بت المنى مني مبيتي في منا ... و رمي جماري جمر شوقي في صدري) .

(و أشعار هدي ذبح نفسي بقهرها ... و خلعي بمحو الكائنات عن السر) .

(و من رام نفرا بعد نسك فإنني ... مقيم على نسكي بلا نفر)